@ 258 @ عند الناس أذلاء . ^ (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) ^ أي : كل له حسابه ، وله عمله الحسن ، وعمله القبيح . ! 2 2 ! وقد امتثل صلى ا عليه وسلم هذا الأمر ، أشد امتثال . فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين ، صبر نفسه معهم ، وأحسن معاملتهم ، وألان لهم جانبه ، وحسن خلقه ، وقربهم منه ، بل كانوا هم ، أكثر أهل مجلسه رضي ا عنهم . وكان سبب نزول هذه الآيات ، أن أناسا من قريش ، أو من أجلاف العرب ، قالوا للنبي صلى ا عليه وسلم : إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك ، فاطرد فلانا وفلانا ، أناسا من فقراء الصحابة ، فإنا نستحي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء . فحمله حبه لإسلامهم ، واتباعهم له ، فحدثته نفسه بذلك ، فعاتبه ا بهذه الآية ونحوها . ! 2 2 ! أي : هذا ، من ابتلاء ا لعباده ، حيث جعل بعضهم غنيا ؛ وبعضهم فقيرا ، وبعضهم شريفا ، وبعضهم وضيعا . فإذا من ا بالإيمان على الفقير ، أو الوضيع ؛ كان محل محنة للغني والشريف . فإن كان قصده الحق واتباعه ، آمن وأسلم ، ولم يمنعه من ذلك مشاركة الذي يراه دونه ، بالغنى أو الشرف . وإن لم يكن صادقا في طلب الحق ، كانت هذه عقبة ترده عن اتباع الحق . وقالوا محتقرين لمن يرونهم دونهم : ! 2 2 ! . فمنعهم هذا ، من اتباع الحق ، لعدم ذكائهم . قال ا مجيبا لكلامهم ، المتضمن ، الاعتراض على ا في هداية هؤلاء ، وعدم هداية ا إياهم . ! 2 2 ! الذين يعرفون النعمة ، ويقرون بها ، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح ، فيضع فضله ومنته عليهم ، دون من ليس بشاكر . فإن ا تعالى حكيم ، لا يضع فضله ، عند من ليس له أهل . وهؤلاء ، المعترضون بهذا الوصف بخلاف من من ا عليهم ، بالإيمان ، من الفقراء وغيرهم فإنهم هم الشاكرون . ولما نهى ا رسوله ، عن طرد المؤمنين القانتين ، أمره بمقابلتهم بالإكرام والإعظام ، والتبجيل والاحترام ، فقال : ! 2 2 ! أي : وإذا جاءك المؤمنون ، فحيهم ، ورحب بهم ولقهم منك تحية وسلاما ، وبشرهم بما ينشط عزائمهم وهممهم ، من رحمة ا ، وسعة جوده وإحسانه ، وحثهم على كل سبب وطريق ، يوصل لذلك . ورهبهم من الإقامة على الذنوب ، وأمرهم بالتوبة من المعاصي ، لينالوا مغفرة ربهم وجوده . ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : فلا بد مع ترك الذنوب ، والإقلاع ، والندم عليها ، من إصلاح العمل ، وأداء ما أوجب ا ، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة . فإذا وجد ذلك كله ! 2 2 ! أي : صب عليهم من مغفرته ورحمته ، بحسب ما قاموا به ، بما أمرهم به . 2 ! 2 ! أي : نوضحها ونبينها ، ونميز بين طريق الهدى من الضلال ، والغي والرشاد ، ليهتدي بذلك المهتدون ، ويتبين الحق الذي ينبغي سلوكه . ! 2 2 ! الموصلة إلى سخط ا

وعذابه . فإن سبيل المجرمين إذا استبانت واتضحت ، أمكن اجتنابها ، والبعد منها . بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة ، فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل . ! 2 2 ! يقول تعالى لنبيه صلى ا عليه وسلم : ! 2 2 ! لهؤلاء المشركين الذين يدعون مع ا آلهة أخرى . ! 2 2 ! من الأنداد والأوثان ، التي لا تملك نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . فإن هذا باطل ، وليس لكم فيه حجة ولا شبهة ، إلا اتباع الهوى الذي اتباعه أعظم الضلال . ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : إن اتبعت أهواءكم ! 2 2 ! بوجه من الوجوه . وأما ما أنا عليه ، من توحيد ا ، وإخلاص العمل له ، فإنه هو الحق الذي تقوم عليه البراهين والأدلة القاطعة . وأما ! 2 2 ! أي : على يقين مبين ، بصحته ، وبطلان ما عداه . وهذه شهادة من الرسول جازمة ، لا تقبل التردد ، وهو أعدل الشهود على الإطلاق . فصدق بها المؤمنون ، وتبين لهم من صحتها وصدقها ، بحسب ما من ا به عليهم . ^ (و) ^ لكنكم أيها المشركون ! 2 ! 2 وهو لا يستحق هذا منكم ، ولا يليق به إلا التصديق . وإذا استمررتم على تكذيبكم ، فاعلموا أن العذاب واقع بكم لا محالة وهو عند ا ، هو الذي ينزله عليكم ، إذا شاء ، وكيف شاء . وإن استعجلتم به ، فليس بيدي من الأمر شيء ! 2 2 ! . فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي ، فأمر ونهى ، فإنه سيحكم بالحكم الجزائي ، فيثيب ويعاقب ، بحسب ما تقتضيه حكمته . فالاعتراض على حكمه مطلقا مدفوع ، وقد أوضح السبيل ، وقص على عباده